الدرس الأول : تعريف اللغة

لقد تعدّدت تعريفات اللغة ، واختلفت وذلك أمر طبيعي ، يعود في جوهره لاختلاف المهتمين بقضايا اللغة ، فمنهم النحاة واللغويون والبلاغيون ، ومنهم علماء الفقه والفلسفة ، ومنهم علماء النفس والاجتماع والسياسة ، وغيرهم كثير . ولذلك اختلفت وجهات نظرهم حول طبيعة اللغة أو وظائفها أو كيفية اكتسابها ونشأتها.

وإن دلّ ذلك فإنما يدلّ على أهمية اللغة ، واعتبارها ظاهرة إنسانية تتقاطع وجملة من العلوم والتخصصات ، ولذلك نجدها أحيانا ترتبط بالفكر والتفكير ، وأحيانا قانية بالشخص والمميزات الشخصية والسلوك الإنساني ، وأحيانا ثالثة بالبيئة والمجتمع .

وإن كانت اللغة تتميز بالنظامية ، فإن ذلك النظام تنوع بين ما هو عقلي ذهني ، وبين ما هو اجتماعي ، يرتكز في أساسه للمعاني المشتركة التي تمّ الاتفاق عليه بين أفراد المجتمع ، في مرحلة معيّنة . وهذا الأمر لا ينفي عن اللغة صفة التوليد أو التعبير عن كلّ موقف جديد يوجد فيه الإنسان.

وسوف نقدّم بعض التعريفات ، وليس الغرض منها الوقوف بالدرجة الأولى على أسس وأسباب الاختلاف ، بقدر ما نسعى إلى إبراز طبيعة اللغة ووظيفتها .

تعريف اللغة عند إدوارد سابير :

يقول إدوارد سابير: " إنّ اللغة وسيلة لا غريزية خاصة بالإنسان، يستعملها لإيصال الأفكار والمشاعر والرغبات، عبر رموز يؤدّيها بصورة اختيارية وقصدية."[i]

ومن خلال التعريف السابق ، نستنتج جملة من القضايا المتعلقة باللغة :

- فهي وسيلة أي أداة من أدوات الاتصال ، تتعلق بالإنسان دون غيره من الكائنات الأخرى.
- تكتسب اكتسابا ، ولا تعتبر غريزية ، أي لا تخلق مع الإنسان ، بدليل أنه لم يخلق إنسان ليتكلّم لغة معيّنة، بل يكتسب لغة معيّنة من خلال المحيط والبيئة التي ينشأ فيها ، ومن المجتمع الذي ينتمي إليه ، ويتفاعل مع أفراده.
- تستخدم في إيصال الأفكار والعواطف والمشاعر ، سواء الخاصة، أو ما يعبّر به الإنسان تجاه الآخرين ، باعتبار عدم العيش مفردا ، وعدم الاستقلالية بالحاجات.
- تترجم تلك الأفكار والمشاعر والرغبات في رموز ، فهي تخضع لنوع من التجريد.
- إن الرموز التي يستعملها الإنسان للتعبير عن أفكاره ومشاعره ليست خالية من الدلالة ، بمعنى أنها تخضع للقصد ، وهذا يتطلب وعيا من المرسل ، وفهما من المرسل إليه، وذلك عبر وسائط لغوية مشتركة ، وهذا ما يضيف شيئا من الاعتباطية لسمة الترميز.

---

[i] - E.SAPIR.LANGUAGE. new york harkout bracer and world (1921) .p.08